الأخلاق والعرفان الإسلامي

الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي

ترجمة : عبّاس الأسدي

الميول والرغبات الإنسانية

تمرّ الروح الإنسانية ومنذ بداية وجودها في هذا العالم بمراحل مختلفة ، لكلّ مرحلة حاجاتها ورغباتها الخاصّة بها ، وقد جرّبنا بعضها بنسبة وأخرى ، إذ شهدت نفوسنا تحوّلات مختلفة منذ أن وعيناها حتى هذه اللحظة من أعمارنا . ويمكن أن نستظهرها بالتجربة الباطنية أو العلم الحضوريّ حسب المصطلح الفلسفيّ .

ففي المرحلة الأولى من حياة الإنسان ـ مثلاً ـ تنحصر حاجة الطفل الرضيع في الغذاء والماء دون غيرهما. فتراه يصرخ ويبكي لتُلبّى حاجته تلك. إذن تقتصر حاجة الإنسان الأولى على الغذاء والماء ، لذا فهو مستغنٍ عمّا سواهما لحين من الدهر. ومع أننا نجهل تماماً مجريات الأشهر الأولى لحياتنا ، لكن هذه المسألة ـ وبسبب المشاهدات المتكررة ـ تعدّ من البديهيات. فالوليد في أشهره الأولى لا يطلب شيئاً سوى الغذاء ، ولهذا يضع في فمه كل ما يقع في يده.

بعدها تتكامل روح الإنسان تكاملاً طبيعياً وفطرياً ، ويتحسّس الطفل أموراً أخرى ؛ منها : حبّ الأبوين ، لاسيّما الأمّ ، فيسرّ لنظرات أمّه الحنونة ، ويتلذّذ حينما تحتضنه وتقبّله ؛ وهذا الإحساس يختلف بالتأكيد عن الحاجة إلى الطعام والشراب .

فقد لا يشعر بالجوع ، ولكنّه يتألّم إذا لم يُعط الحنان الكافي من قِبل الأبوين ، وهذا يكشف عن ظهور حاجة جديدة لديه في هذه المرحلة هي من نمط آخر غير الطعام والشراب .

وفي مرحلة لاحقة يشعر الطفل الصغير بحاجة أخرى وهي الرغبة في اللعب. وبطبيعة الحال فإنّ الانتقال من مرحلة إلى أخرى لا يعني انتهاء الرغبات السابقة ، فمعلوم أنّ الحاجة إلى الطعام والشراب ـ على سبيل المثال ـ قائمة طوال عمر الإنسان ، إلّا أنّ بعض الرغبات تتبدّل من حالة إلى أخرى بمرور الزمن .

ومهما يكن ، فإنّ الطفل في هذه المرحلة يميل نحو اللعب ، وهو ميل فطري أودعه الله تعالى فيه ، ولهذا من غير اللّازم أن نعلّم الطفل حبّ اللعب ، فهو يميل نحوه تلقائياً . وقد يتلذّذ الطفل أحياناً باللعب إلى حدٍّ كبير ينسى معه طعامه ومنامه ، رغم مرور ساعات على موعد تناوله الطعام ، فتراه منهمكاً في اللعب دون مبالاة خصوصاً إذا كان منسجماً مع من يلعب معه ، بل وإن كان وحده ؛ يستغرق في تخيّلاته ويخترع لنفسه أنواع اللعب . فالفتاة الصغيرة ـ على سبيل المثال ـ تضع ملاءتها على رأسها وتتصرّف وكأنّها تريد أن تحلّ ضيفاً على مَن هي في مثل سنّها ، أو أنّها تنتظر ضيفاً وتتحدّث في عالم خيالها معها وتستضيفها ، فتتصوّر لنفسها من تلعب معها وتأنس بها ؛ وهذه ـ على أيّة حال ـ رغبة فطرية طبيعية تظهر على الإنسان دون الحاجة إلى عامل تربويّ خارجيّ ، ولابدّ من أن تُشبَع لدى الطفل حتى سنّ البلوغ ؛ حيث تنشأ لديه ميول جديدة لم يسبق أن مرّت عليه ، إذ يشعر بحاجة ملحّة جديدة ، ألا وهي الميل للاقتراب من الجنس الآخر .

لا يعي الطفل هذا الميل بوضوح في بداية الأمر ، فلا يفهم في هذه المرحلة مبتغاه على وجه الدقّة ، ولكن يتّضح له الأمر تدريجياً ؛ فالذكر يحبّ اللعب مع الإناث ، والأنثى تميل الى اللعب مع الذكور . ويشتدّ هذا الميل عند البلوغ ويصل ذروته في مرحلة المراهقة .

وتبدأ هذه الرغبة في الإناث أسرع منها في الذكور ، حيث تبدأ الفتاة بتحسّس هذه الحاجة في التاسعة أو العاشرة من العمر ؛ وترافق هذه التحوّلات الروحية والرغبات الجديدة تطوّرات فسيولوجية (وظائفية) في الإنسان ، في جسمه وفي غدده وفي هرموناته ، بحيث تنسجم التحوّلات النفسيّة مع بعضها ، ولكن الإحساس بالحاجة إلى

إشباع رغبة معيّنة هو شأن روحي ، لأنّ الجسم لا يدرك التحوّلات التي تطرا عليه ، وإنّما الروح هي التي تدرك ذلك .

فالإنسان الذي لم يصل سنّ البلوغ بعد ، مثله كمثل الطفل الصغير ذي العامين والثلاثة ، لا يفهم القضايا الجنسية والميول لدى الشابّ والبالغ ، كما لا يمكنه أن يتصوّر معنى تلك اللّذة إن سمع بطريق الصدفة أن للبالغ ميلاً خاصّاً يتمّ إشباعه بواسطة الجنس الآخر ويحصل على لذّة لا تقارن بالطعام والشراب ، وإنّما هي لذّة من صنف آخر لا يفهمها الطفل وإن جرى توضيحها له بمختلف السُّبل ، لأنّه لا يدرك سوى الطعام والشراب واللعب واللذّات المرتبطة بها ، لتجربته وممارسته إيّاها في حياته .

التحوّلات الباطنية اللامحسوسة

غير ما ذكرنا من تحوّلات روحية وجسمية ظاهرة ، هناك تحوّلات أخرى ليست محسوسة ، يُطلق عليها التحوّلات الباطنية أو الروحية وهي تختلف في ضوء تفاعل الإنسان معها وحسب ميوله نحوها . وهي بذلك تفترق عن الطعام والشراب ، وحبّ اللعب ، والميل الجنسي . فالميل إلى الطعام والشراب كأصل ، يتساوى فيه الجميع ذكوراً وإناثاً ، كباراً وصغاراً ـ وإن فُضّلت أنواع منها على غيرها لدى بعض ـ وكذا الميل الجنسي ، مع أنه قد يشتدّ عند بعض ويضعف عند آخرين.

الميول المؤقتة والميول الدائمة

ثمّة ميول قد تكون قويّة في بعض الأشخاص دون غيرهم ، أي : إنّ هذه الميول تختلف شدّة وضعفاً لدى الأفراد ؛ مثال ذلك : الميل إلى الفن حيث نجده لدى بعض الأفراد شديداً بحيث يتفوّق على شؤونه الحياتية الأخرى ، فيما يوجد آخرون لا يتحسّسون الفن ولا يدركون منه شيئاً .

وينشرح جميع الناس بدرجة وأخرى لرؤية الواحات الخضراء وأمواج البحر وغيرها من المناظر الطبيعية ، إلّا أنّ بعضهم يستغرق في عمق هذه المشاهد إلى درجة ينسى نفسه وسائر شؤونه الأخرى ، فيقضي ساعاتٍ متلذّذاً بمشاهدة زهرة أو شجرة ويتمنّى لو يطيل النظر إليها أكثر . ويبرز هذا الميل في الإنسان بصورة فنّ يطمح من خلاله إلى إبداع كل ما هو جميل ، فيجهد نفسه لخلق أثر فنّي جميل يكون على شكل

لوحة رائعة لرسم أو خطّ أو تطريز ، أو على هيئة قصيدة عصماء أو نثر أدبي رائع .

ومن الناس مَن إذا سمع شعراً أو نثراً تلذّذ به إلى درجة قد لا يجدها في أي لذّة أخرى ، ومنهم من يطرب لسماع صوت جميل بحيث يكاد يفقد وعيه .

وهذا التحسّس للفنّ والجمال لا يتوافر لدى جميع الأفراد بدرجة واحدة ، فمن توافر فيه استطاع أن يكتشف نفسه عند تغيّر الحالة الروحية إلى حالة جديدة ، كما يمكن للآخرين أن يفهموا من خلال آثاره هذه الحالة الجديدة التي طرأت عليه ، وجعلته يتلذّذ بأُمور لم يكن يتلذّذ بها سابقاً .

على أيّ حال ، فالاختلاف موجود ، والإنسان يعلم أنّ رغبات عديدة تظهر عليه منذ ولادته وحتى شيخوخته مروراً بسنيّ شبابه وكهولته ، وفي كل مرحلة يبرز مَيْل روحي جديد غير مسبوق به ، وقد يعاني بعض الأشخاص من ضعف شديد في هذه الميول أو يفقدونها تماماً ؛ وأمثال هؤلاء يعتبرون في عِداد المرضى روحيّاً وجسميّاً .

وتؤدّي التحوّلات التي تحصل في المراحل التالية الى أن يضحك الإنسان من بعض ميوله ورغباته في المراحل السابقة ؛ مثال ذلك : أنّ الإنسان حينما يصل حدّ البلوغ يترك لُعَب فترة طفولته التي كان يعتزّ بها ، فيما يبقى هذا الميل لدى بعض الأشخاص حتى مرحلة الشيخوخة .

ولعلماء النفس بحوث ودراسات في أسباب هذه الظاهرة ، تتلخّص في أنّ سبب بقاء هذا الميل هو عدم إشباعه في المرحلة الخاصّة به ، ولهذا يوصى الوالدان بترك الطفل يُشبِع حاجته من اللعب تماماً .

ومن الميول ما يُنسى بمرور الزمن ، ومنها ما يبقى أبد العمر دون أن تكون لها علاقة بالجسم ، وهي لا تضعف بالشيخوخة وإنّما تشتدّ وتقوى ؛ فالميول التي ترتبط مباشرة بأعضاء البدن تقوى بقوّة البدن ، أمّا تلك التي ليست على علاقة مباشرة بالأعضاء فتستقرّ ثابتة في الإنسان سواء كان نحيفاً أو بديناً ، ضعيفاً أو قويّاً ، شيخاً أو شابّاً ، كرغبة الإنسان في أن يحظى باحترام الآخرين ، وأن تكرّم شخصيّته ؛ ولا ترتبط هذه الرغبة بعضو من أعضاء البدن كالعين والأذن واليد والقدم والجهاز التناسلي والدورة الدموية وغيرها ؛ فالإنسان يطمح ـ وفي أي سن كان ـ إلى أن يتمتّع بشخصية مرموقة ، ويرغب في أن يكنّ له الآخرون كل الاحترام ؛ وهذا الميل لا يهرم

ولا يُنسى طوال الحياة ، بل هناك من الأشخاص من يودّ أن يُحترم بعد موته ، فيقوم ببعض الأعمال لكي يُخلّد ذكره ويُحترم بعد الممات أيضاً . أجل ، فهذه الرغبة موجودة في الإنسان ، فيتحمّل الكثير ويعمل ويغضّ النظر عن الكثير لكي يذكر الناس اسمه بعد موته ، وهذه رغبة في الإنسان لا تنتهي وإنّما تشتدّ كلّما تقدّم به العمر .

فيما مرّ بنا وضّحنا بعض الأمثلة على الرغبات والحاجات الروحية التي تظهر على الإنسان بصور مختلفة ، حيث يبقى بعضها ويزول بعضها الآخر ، وبوسعنا جميعاً أن نستشعر بالتجربة هذه الميول في أنفسنا ونكتشفها .

وكل هذه الميول التي أتينا على ذكرها تظهر في الإنسان بصورة تلقائية ، وتطوي مراحلها المختلفة دون أي تدخّل بشريّ ، ولكن هل إنّ رغبات الإنسان كلّها على هذه الشاكلة ؟ وهل هناك ميولٌ أخرى لا تظهر بهذه الطريقة التلقائية ؟ وهل إنّ جميع التحوّلات الروحية والتكاملات التي تبرز في الإنسان هي من النوع الذي ينمو طبيعياً ؟ وهل من الممكن أن توجد ميول أخرى ليست محض طبيعية ؟

الجواب : نعم ، فهناك مواهب في الإنسان يجب أن يطلقها من خلال نشاطه لتخرج من حيّز القوّة إلى الفعل بصورة ميل أو رغبة ، وإذا لم يبادر بالعمل لإطلاق هذه المواهب الفطرية ظلّت ميولها كامنة فيه ، فمثلاً يشعر المرء أحياناً أنّه يبحث عن شيء يفتقده دون أن يدري ما هو ، فإذا شاء أن ينمّي وعيه بهذا الاتجاه وجب عليه أن يبذل جهده حتى تظهر عليه تلك الرغبة بشكلها الصحيح ، وإلّا لن يطرأ عليه التحوّل الروحيّ المطلوب .

لنضرب مثلاً لتوضيح الفكرة : قرأنا في القصص والروايات والأشعار عن حالات الحبّ الشديد التي تعتري بعض الأشخاص ، وربّما جرّبها آخرون بدرجات أدنى ، وربّما لم يمرّ بها بعضنا بتاتاً . ومهما يكن فإنّ العشق تعلّق شديد لإنسان بآخر ، فإذا أُشبعت رغبة العاشق ، ورأى ـ مثلاً ـ على محيّا معشوقه ابتسامة عريضة غمرته النشوة وكأنّما أُعطي الدنيا كلّها ، وإذا أحسّ العكس سقطت الدنيا كلّها من عينيه .

فالعشق نوع من الميل والرغبة يشتدّ في الإنسان الذي يفسح له المجال ، وهو رغبة تظهر في البداية بصورة خفيفة لكنّها سرعان ما تقوى إذا تهيّأت لها الأجواء . فكلّما تذكّر العاشق معشوقه وكتب فيه الشعر والنثر أصبح العشق كالنار التي يؤجّج لهيبها باستمرار ، فإن كبح جماح ميله ورغبته أطفئت نيران شوقه ، وكلما سعى العاشق

لأن يتناسى ويهمل محبوبه تلاشي عشقه تدريجياً.

إذن يمكن القول بوجود رغبات يتوقّف إطلاقها ـ إلى حدٍّ كبير ـ على إرادة الإنسان نفسه ، فيستطيع أن يعمل ينمّيها ، وبإمكانه أن يميتها . وبطبيعة الحال فإنّ الإرادة تختلف من شخص لآخر ، كما أنّ ظروف الحياة هي الأخرى تختلف ، ولهذا فإنّ ضبط هذه الميول قد يخرج ـ إلى حدٍّ ما ـ عن إرادة الإنسان ، ولكن تبقى كلمة الفصل للإرادة نفسها .

ولاشك في أنّ كثيرين جرّبوا مثل هذه الحالة ، واستطاعوا بالإرادة تعميق رغبة أو حالة روحية ونفسية معيّنة أو تطويقها ، وهنا يتداعى إلى الذهن السؤال التالي : هل هناك في لاوعي الإنسان (عقله الباطن) ميول لطيفة يمكن تنميتها وصقلها من خلال جهد الإنسان نفسه ؟

الدين وتجارب كبار الشخصيات الإنسانية وأفكار كبار العلماء والمفكّرين كلّها تؤكّد وجود مثل هذه الميول .

ففي الإنسان ميول باطنية لطيفة غامضة في بداية أمرها ، تبحث عن ضالّة لا تعرفها ، وتميل إلى معشوق لا تدري من يكون . فهو يشعر برغبة جامحة وحاجة لا يدري ـ تماماً ـ لأي شيء ، ويدرك بأنّه يبحث عن أمرٍ ما دون أن يعلم ما هو ، وأين ، وكيف يحصل عليه ، وبماذا يتوسّل ليجده ، وما السبيل لإقامة علاقة معه . وهذا الميل الذي يحسّه لا يمكن أن ينمو في نفسه بصورة تلقائية .

وثمّة أشخاص كانوا يحملون هذه الرغبة وبقوّة في الطفولة وعملوا على تنميتها سريعاً وبلغوا بها مرحلة الوعي ، فتعرّفوا على المعشوق وبذلوا جهداً من أجل الوصول إليه ، وبالطبع فإنّ مثل هذه الحالات استثنائية وليست عامّة ، وتتوافر في الأنبياء والأولياء الذين قد يُدركون بعض الأمور وهم في سنين الطفولة الأولى ممّا لا يمكن أن نستوعبه ، أو قد يحصل هذا الإدراك وهم في بطون أمّهاتهم ، فيتكلّمون ويفكّرون .

ومهما يكن فمثل هذه الحالات نادرة ، ولكن يجب أن لا تثير فينا الاستغراب كثيراً ، إذ إنّنا نجد ونسمع في عصرنا عن حالات من الذكاء الخارق بحيث يتعلّم ـ مثلاً ـ طفل في الثالثة من العمر عدّة لغات أجنبية ، أو نقرأ في الصحف أن طفلاً في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة يستطيع أن يتلقّى علوماً يعجز ابن الأربعة عشر أو الخمسة عشر عاماً عن

استيعابها ، أو أنّ طفلاً في الخامسة استطاع حلّ مسائل رياضية عجز عن حلّها من هو في مستويات أعلى منه ؛ وهؤلاء الأشخاص آيات إلهية تبيّن أنّ الله تبارك وتعالى قادر على أن يخلق من هم أكمل من سائر الناس ، أمّا معرفتهم والإيمان بهم فتلك مسألة يتوصّل إليها بعضٌ فيما يتخلّف عنها آخرون . ومهما يكن فإنّ بحثنا يدور حول الحالة المتعارفة من الناس الذين يتماثلون تقريباً في الميول والرغبات ، وهي الحالة الطبيعية السائدة .

إنّنا جميعاً متساوون من حيث الحاجات والميول والرغبات وكذلك في القوى الروحية والمعنوية ، وهنا نسأل : هل أُودعت فينا ميول كامنة لا نعلم عنها الكثير ، وإذا أردنا لها الظهور وجب علينا بذل نوع من الجهد في سبيل ذلك ، وإذا ظهرت وجب علينا صرف مساعٍ أخرى لإشباعها ، بحيث تصبح الميول والجهود المبذولة عليها مقدّمة للكمال الذي تنشده الروح الإنسانية ؟

الإسلام يجيب على هذا السؤال بـ(نعم) ، فالإنسان بفطرته يرغب إلى الله ، لكنّه لا يعلم كثيراً عن هذه الرغبة ، حيث تبرز أحياناً ، غير أنّها تختفي خلف الحُجب ليغفل المرء عنها ثانية . فنحن نشعر أحياناً بنسمة ريح طيّبة تهبّ من أعماق وجودنا ، إلّا أنّها سرعان ما تتلوّث بأوساخ الدنيا ، وتأتي مسألة «الأخلاق» بالمعنى العام ، و«العرفان» بالمعنى المصطلح ، و« السير والسلوك » بالمعنى الذي يطرحه علماء الأخلاق في سياق هذه المقولة ، وترتكز على أساس أن للروح الإنسانية استعداداً للكمال ؛ ويتطلّب إدراك الحاجة لذلك الكمال أن يتحرّك الإنسان بنفسه ، ويسعى في الخطوة الأولى لمعرفة ماذا يريد ، ثم يتحرّك ضمن الطريق الذي ينمّي هذه الرغبة ويشبعها ليصل أخيراً إلى غايته.

وهذا هو الغاية لبعثة الأنبياء وحركة الأئمة المعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وتأتي الأهداف الأخرى كمقدّمة لتحقيق هذه الغاية . ولاشك في أنّ الأنبياء بُعثوا لإقامة القسط والعدل في المجتمع ، ولقطع أيدي الظالمين والمستكبرين وتحرير المظلومين والمستضعفين ، ولتربية البشرية جمعاء .

ولاشك أيضاً في أنّ تعاليمهم شملت حتى شؤون الحياة الدنيوية من أحكام صحّية واقتصادية وسياسية وعسكرية وقوانين حقوقية وجزائية من أجل تحسين وضع الإنسان ؛ غير أنّ هدف بعثة الأنبياء لم يقتصر على هذه الأمور

إنّ كل ما نعرفه لا يتعدّى نطاق القضايا المادّية والدنيوية ، ويدخل الكمال المعنوي

في إطار آخر لا يمكن تعريفه وتبيين خصائصه إلّا كما تُعرَّف للطفل مرحلة البلوغ ولذّاتها ، فيقال له مثلاً : إنّ لهذه اللّذات مذاقاً كمذاق العسل ، لأنّ الطفل لا يعرف شيئاً ألذّ من العسل ، ولكن شتّان بينها وبين العسل .

فكيف توصف لذّة المناجاة والأنس مع الله ، للإنسان الذي لا يعرف في نفسه هذه الرغبة وكل ما يرتبط بها من مراحل الكمال ؟

إنّ أفضل مفهوم يمكن أن يقرّب المعنى إلى ذهنه هو القول : إنّ لذّة المناجاة مع الله أشبه ما تكون بلذّة الأنس مع المعشوق ، بيد أن الحقيقة تبقى بعيدة عمّن لم يتذوّق طعمها ، لأنّ من لا يتذوّقها لا يدرك ما طعمها ، ومن حصل عليها ليس بوسعه أن يوضّحها ، لأنّ الآخرين غير قادرين على استيعابها ، فهي تحتاج إلى أذن أخرى لسماعها ، وتحتاج إلى عين أخرى لرؤية جمالها ، وهي موجودة لكنّها مغلقة مثلها مثل عين الجنين التي لم تفتح بعد ، فإنّ لنا جميعاً عيناً باطنة وأذناً باطنة ، إلّا انّها لا تفتح ـ مع الأسف ـ إلّا بعد حين ، وربّما لا تفتح إلّا بعد فوات الأوان ، فنقول: ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون** ﴾[1] . وهي أمنية لا تتحقّق حيث يأتي الجواب: ﴿ **ألم يأتكم رسلٌ منكم يقصّون عليكم آياتي** ﴾[2] .

إذن يمكن القول إنّ العرفان الحقيقي يعني وصول الإنسان إلى أعلى المراتب ، فهو معرفة الله التي تحصل بالشهود والوجود لا بالعلم والسماع ، أي تلك المعرفة الممكنة لأولياء الله ، وليست ذلك المفهوم الذي يتداعى إلى الأذهان . والعرفان بهذا المعنى هو الذي سعى للوصول إليه الأنبياء وبذلوا غاية الجهد من أجل أن يعرّفوه للبشرية ، وتحمّلوا الشدائد والمصائب لتحقيق الهدف ، وضحّوا بحياتهم ثمناً لذلك ، وخاطبوا الناس بشتى الصيغ والأساليب للأخذ بأيديهم إليه وتعريفهم به .

ولكن للأسف فإنّ السلعة كلّما غلا ثمنها كثُر تزويرها ، فحجر الألماس مثلاً وهو الأثمن من غيره يزيّف أكثر من غيره ، والذهب والجواهر الثمينة كذلك . ومن لا يستطيع التمييز بينها ينخدع بالبديل المزيّف ، لأنّ كليهما متشابهان في الظاهر وبريقهما واحد ، والصائغ فقط هو الذي يستطيع التمييز بين الذهب والمُذَهَّب ، والخبراء بهذه المسائل ـ مع الأسف ـ نادرون ، فهناك الكثير ممّن يدّعي كذباً . وقليل من بلغ الكمال وأصبحت له

---

(١) السجدة : ١٢.

(٢) الأنعام : ١٣٠.

القدرة على التمييز بين الأصل والزائف . ولهذا يجب أن نسعى إلى معرفة علامات ومواصفات العرفان الحقيقي ، حصانةً لنا من خداع المدّعين ودافعاً لنا لتلقّي هذا النوع من المعارف .

وتشير إلى هذه المسألة الآيتان الكريمتان ١٥ و ١٦ من سورة المائدة : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ﴾ .

فالقرآن الكريم نورٌ وضّاء ، لو اطّلع على حقائقه أحد لبدّد الظلمات وزيف الزائفين، إلّا أنّ بعض الناس لا يستنيرون بنوره ولا يهتدون بهداه ، لأنّ هناك شرطاً أساسيّاً يجب أن يتوافر فيمن ينتفع منه : ﴿ يهدي به الله من اتّبع رضوانه ﴾ . فمن توافر فيه شرط « اتباع رضوانه » انتفع بنوره ، ومزّق حُجب الظلمات . وبعكسه ـ أي من لم يتحقّق فيه هذا الشرط ـ عُدِم الفائدة وربّما أساء الاستغلال أيضاً : ﴿ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً﴾[٣] .

أجل ، إن هذا القرآن الذي يهدي المؤمنين للتي هي أقوم ويُخرجهم من الظلمات إلى النور ، لا يزيدُ الظالمين إلا خساراً . فتراهم يتخبّطون في الظلمات ، لأنهم لم يهتدوا إلى الصراط المستقيم ، ويريدون ليطفئوا نور الله ، وأن يجعلوا هذا القرآن عضين ، فهم أصحاب القلوب الزائغة التي تتّبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وهم عبيد الدنيا الذين يحوطون الدين ما درّت معائشهم ، وهو لعق على ألسنتهم ، فلا يفقهون حديثاً .